الذى يسلمه ليد الجراح يفحصه ويكشف علته او علله ثم يجرى له الجراحة تسيل دمه وتبضع لحمه لتشفيه مما يعانى فيتمتع بالحياة ناشطة منتجة ، أم ذلك الاب الذى يخشى عليه الالم فيحوطه بالحنان التقليدى المتهيب الجزوع ويتركه خاملا يذوى ويذوى الى أن يفارق الحياة.

نأتـــى الى المزايـــا . .

مـــزايـــا العـــربيـــة

ولئن كانت كل اللغات تشارك عربيتنا فى الكثير من عيوبها فان لها لمزايا تنفرد بها دون لغات اهل الارض منذ ظهرت اللغات ونطق ابن آدم .

من هذه المزايا اولا هذه الكثرة الكاثرة فى المترادفات والصيغ والاشتقاقات ـــ مما ذكرناه فى عداد العيوب بالنسبة الى المتعلمين ، فهى نعمة للادباء المترسين الحذاق هذه المرة . . مع وفرة طائلـــة فى التعـــابير الحضارية والفكرية والشعورية ، الى جانب الالفاظ الصحراوية البدائية . فمع أن المعجم العربى (معجـــم بدوي) لان رواة اللغة لم يأخذوا عن الحضر ولا عن القبائل المجاورة للحضر أو الاعاجم ، بل اقتصروا على البدو الخلّص الاقحاح . . لشد ما يدهشنا ما نراه من غزارة المادة الحضارية والفكرية الراقية فيه .

هذه الثروة الفاحشة ساعدت العرب منذ القدم على قرض الشعر والتصرف وتنويع طرائق التعبير فيه ، ونظم المطوّلات من القافية الواحدة يبلغ عديد بيوتها المئة والمئتين ـــ ما لا نظير له فى اية لغة اخرى .

ثانيا : تبين لنا فى ابحاث سابقة ان اصل الآريين قد كان من الجزيرة العربية ، ومن ثم فان اللغـــات الآرية شرقية كانت كالفارسية والسنسكريتية واليشتونية (الافغانية) ، أم غربية كالاغريقية واللاتينية والكلتية والغالية ووارثاتها الاوربيات الحديثات ـــ هذه اللغات كلها مع اللغات الحامية والسامية : بنات العربية .

ثالثا : ومن مزاياها الخطيرة غير المنظورة انها اصيلة ، أو باصطلاحنا اثيلة ، لانها من صنيع اهلها ، نبتت ونشأت واكتملت فى موطنها ، على السنتهم . . خلافا لمعظم اللغات الاخرى ، حية أو ميتة ، قديمة أو حديثة . . لانها كلها لم تنبت فى الارض التى يتكلم بها اهلها ولا هم الذين صنعوها أو نشّؤوها وربّوها ، هذه الخصلة الفذة انجبت المزيتين التاليتين .

رابعا : عند تأثيلهم الالفاظ الاوربية يعيدونها ـــ كالذى قلنا مرارا ـــ الى بعض اللغات الآرية القديمة على الاغلب ويقفون عند ذلك الحد ، لكن العربية ذات الثروة القارونية أوحت لنا ذات يوم عند تأثيلنا لبعض الفاظها أن نرجعها الى بداياتها الاولى التى حاكى بهـــا الانسان الاول بعض الاصوات ثم تطورت على مـــر الاجيال حتى تكونت منها الفاظ جديدة فى المعنى والمبنى، مثل تسمية الفرّوج (صوصي) فى بعض الدارجات من صوته ، والمواء من قول الهرة (ميو) ، والهواء مـــن صوته (هووو) ، وما الى ذلك . فهذا الاثل البدىء الصوتى الذى سميناه (الرّسّ) الذى يعنى معجميا : بداية الشىء ، ادى بنا الى وضع ما سميناه (علـــم الترسيس) اى البحث عن ارساس الالفاظ ، لا للغة العربية وحدها بل كذلك للآريات والحاميات والساميات اللواتى قلنا انهن بناتها ، لان الكثير من الفاظهن ما زال يمكن ارجاعه اثلا الى اللغة الام . وهذا اظهر لنا أن اللغة العربية قادرة بمفردها أن تبرهن على صحة (علم نشأة اللغة) وتكشف عن اسرار تكونهـــا ونضجهـــا وطرائقها التطورية العجيبة .

خامسا : ومن افضال العربية ومزاياها أن فيها الفاظا كثير عديدها عريقة النسب جد قديمة فى الوجود ، منذ عهود ما قبل التاريخ اى قبل عهود اختراع الكتابة، تدل على معان واحداث باد اهلوها ولم يبق من الآثار التنقيبية ما يدل عليها ، ومن مقارنة تلك الالفاظ بعضها ببعض ومراقبة سيرها التطورى من زمان الى زمان وانتقالها على الخريطة من مكان الى مكان على الاغلب ، يمكن استخلاص حقائق تاريخية مجهولة لولا سجـــل اللغة ـــ العفوى ـــ هذا لبقيت الى الابد مجهولة .

منشأ العيوب والمزايا

هذه المزايا وتلك العيوب . . ما منشؤها ؟

لندهش القارىء العزيز نقول ان منشأهما واحد. فاللغة العربية بحسناتها وسيئاتها ليست الا حصيلة رحلتها الطويلة فى التاريخ وترحلها المتنقل الدائب فى حيز محدود من الجغرافيا ـــ المعربة .

كنت قرأت بحثا للمؤرخ العالمى المشهور (توينبى) عن تحول الجزيرة العربية الى هذه الصحراء الرملية بعد أن كانت فى العهد الجليدى غابة لفّاء تزخر بالحياة

والمياه . موجزه : ان سكان المنطقة حين صوّحت بهم الغابة الفيحاء وتناقصت خيراتها كانوا ثلاث طوائف ، فطائفة هاجرت الى مناطق خصيبة اخرى فنجت ، وطائفة كيفت نفسها مع البيئة الجديدة فعاشت ، وثالثة لم تهاجر ولم تستطع أن تتكيف مع البيئة فبادت . ولم يتحدث (تويني) عن النتائج اللغوية التي قد تكون نجمت من هجرة النازحين وتكيف الباقين . وليس لنا أن نعاتبه فهو مؤرخ لا لغوي ، وانما نحن المطالبون بأن نبحث ونتساءل .

في وسعنا ان نقول بسهولة ان تلك الهجرات نقلت لغة القوم ولهجاتهم الى المناطق التي هاجروا اليها .. الى ايران فالافغان فالهند شرقا ، والى الهلال الخصيب فالاناضول فاوربا شمالا ، والى الحبشة ومصر فالشمال الافريقي الى اقصاه غربا . يتأيد هذا لنا اذا تتبعنا الكثير من الالفاظ المتشابهة بين العربية ولغات هذه الاصقاع ولا سيما في الضمائر واسماء الاشارة والالفاظ الطبيعية البدائية — كما سبق أن قلنا في ابحاث سابقة . والاوربيون يسمون لغاتهم (اللغات الهندية / الاوربية) لانهم وجدوا شبها بين الفاظ لغاتهم والفاظ السنسكريتية (اللغة الهندية القديمة)، واذا كان ذلك ينبيء أن الاوربيين قد قدموا اصلا من الهند فان استنتاجنا ينبيء أن الكثيرين منهم قدموا من الارض العربية راسا ايضا . وأية كانت الحال فان من البديهي أن بوسعنا أن نسمي تلك اللغات على وجه الاجمال باللغات (العربية / الهندية / الاوربية) .

فمن اجل هذا قلنا في مطلع الحديث ان اللغة العربية أم اللغات الآرية بالاضافة الى الحامية (لغات الشمال الافريقي والصومال) والسامية (لغات الهلال الخصيب ومصر والحبشة) ، وان العربية ليست قادرة على ترسيس الالفاظ لنفسها فقط بل لبناتها من هاته اللغات ايضا .

ان حياة الترحل والنُجعة في تلك البيداء العربية تسمت القوم بطونا وقبائل كما تسمتهم مواطن الخصب المستديم الى قرى ومدائن . وتنتقل تلك البطون والقبائل على غير نظام — واحيانا على نظام — من منطقة في موسم الى اخرى في موسم آخر .. فتتقارب طورا وتتباعد طورا ، ويندمج بعضها في بعض آونة وينشطر بعضها من بعض أوانا .. وكثيرا ما تضطر الظروف عائلة من القبيلة الى الانسلاخ من مجموعتها .. او فردا يلتجيء الى عشيرة اخرى فيتزوج وينجل فيهم .

وفي جميع الحالات يأخذ الافراد والجماعات لغتهم معهم حيثما ذهبوا . واذا بحياة العزلة تطور اللغة على السنة فئة في اتجاه غير الذي تتطور فيه على السنة فئة اخرى . فما كانوا يطلقونه على الارض الصلبة البيضاء هنا يطلقه بعضهم هناك على الارض البيضاء ولو كانت رخوة ، وما كان يطلق على التل الصغير صار بعض المنشقين يطلقه على الجبل الذي يجدونه في ارض نجعتهم مثلا . وقد سبق ان استشهدنا على مثل هذه التطورات بالكثير من النماذج ، نذكر منها هنا (الأبرق) الذي اصل معناه بياض يلمع في لون آخر كالبرص ، فصار يعني معجميا كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض ، ثم صار يعني الارض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين .. ثم نطقه قوم (الابلق) بنفس معناه الاول اي : الاسود والابيض . وهو ينطق (بْلَق) بسكون اوله في الدارجة المغربية ويعنون به : الشديد بياض البشرة . وهكذا اختص بلون واحد وفقد الآخر . لكن نفس الصيغة اي (black) تعني بالانكليزية اللون الآخر فقط اي الاسود . وهي تنطق blanc بالفرنسية و بالاسبانية blanco وblanco بالايطالية لكن بالمعنى المغربي اي الابيض .

واسم الحيوان صار يعني حيوانا آخر او اكثر من حيوان مثل السِّمّة (كالهمة) وهو من اسماء الاسد اطلق على الذكر من الحيّات وانثى التنفذ .

ويتغير النطق كذلك اذا كان احد الابوين التغ او ارتل فيؤثر في اولاده . والاغلب ان الكبار يقلدون رؤساءهم في النطق ولا سيما شيوخ العشائر .

.. فيكون اختلاف اللفظ في جميع هذه الحالات وغيرها — وهي كثيرة — منشأ الفاظ جديدة متقاربة في المبنى والمعنى ، وهو ما اثار تعجب قدامى اللغويين واعجابهم مذ عدّوه من بدائع العربية وسموه تصاقب المعاني بتصاقب الالفاظ . من النماذج الكثيرة : سل ، سلت ، أصلت .. هواء ، هباء ، هباب .. قص ، قصم ، قسم ...

وقد تتباعد الفاظ متصاقبة فلا يبقى بينها شبه ظاهر ، مثل فعلَيْ : قطّ وهذّ ، فقد تطورت (قط) هكذا : قطّ — قدّ — قذّ — خذّ — حذّ — هذّ ..

وان كان المعنى قد ظل هنا ضمن نطاق (القطع) فانه قد يتغير مع تغير اللفظ في بعض مناحي التطور

مثل : حذّ ــ حسّ ــ حشّ ــ عش ، عاش ، عيش : (حياة أو خبز) .. أو هكذا : حش ــ حشا ، حشية ، ومنها حشية الثوب ، ثم حاشيته ، ثم حاشية الكتاب . وما أبعد كل هذا عن الرس (قط) فى اللفظ والمعنى .

ومن أمثلة اختلاف النطق ما زال القاف يلفظ فى دارجاتنا على أربعة أوجه ما بين بدو وحضر فى مثل : قاعد ، كاعد ، جاعد ، آعد .

فاذا كان هذا شأن الكلمة من رسّ واحد فما بالنا بالكلمات الكثيرة المنحدرة أساسا عن ارساس شتى؟

اظننا فهمنا من كل ما تقدم كيف تعددت الفاظ المعنى الواحد وكيف تنوعت معانى اللفظة الواحدة مما اغنى اللغة ــ ومن ثم كيف تباينت واضطربت طرائق التعبير واختلفت قواعد النحو والصرف .

فاذا تلاقى بعض أولئك الضاربين فى آفاق تلك الجزيرة العربية الفسيحة الارجاء ، فاندمجت قبيلة فى قبيلة .. اندمجت اللغتان .. لا كما هى الحال فى الحضر حيث يقيم كل فريق فى حى من البلدة الواحدة فيظلون متجاورين محافظين على لغتهم ولهجتهم .. فان القبيلة فى البادية كلها حى واحد ، يلعب صغارها مما دون تمييز بين طبقات ، ويحضر كبارها كلهم فى مجلس الشيخ على سواء ، ويضربون خيامهم معا عند النزول ويتوضونها معا عند الرحيل . فما هو الا جيل أو جيلان حتى تندمج اللغتان فتكثر الالفاظ للمعنى الواحد وتتعدد المعانى للفظة الواحدة .

فلو أن القبائل العربية قد اجتمعت كلها فى صعيد الى غير افتراق لتوحدت لغاتها فى لغة واحدة ، ولو قد افترقت كلها عن بعضها بعضا الى غير لقاء لتعددت لغاتها وتباينت حتى لا يعود بعضها يفهم عن بعض ولاصبحت لهجات كل من القبائل المنفصلة لغات محلية ضيقه الابعاد بالنسبة الى اللغة الام ، كالذى وقع فعلا للبابليين والكنعانيين وغيرهم من الساميين ــ والى حد ما للحميريين (أهل اليمن) .

لكن تكرار الافتراق والانشطار الذى ينجب الالفاظ الجديدة والمعانى الاضافية أو المختلفة ثم تكرار اللقاء الذى يجمع كل الحاصل الجديد فى بوتقة واحدة ، ثم اتصال البداوة من جهة أخرى لضرورة التبادل المستمر مع العروبة المتحضرة على جوانب المعرية ــ فى داخلها وخارجها ــ خلق هذه اللغة الفخمة السمينة ، والعملاقة بين اللغات .

ولو كانت البداوة انقرضت قبل جمع اللغة لضاع علينا الكثير من الالفاظ البدائية التى ما زالت فيها آثار مَنْشئها الصوتى ينم عليها ، وقد جرى ذلك فعلا للغات التى غادرت المعرية وابتعدت ولو قليلا عن فلواتها كالساميات اللائى فقدن من ذلك الشىء الكثير ، والحاميات اللائى كنّ أبعد فى المكان وأقدم فى الزمان فكان ما فقدنه أكبر مما فقدت الساميات ، ثم الآريات اللائى انقطعت صلتهن بالارض الام وأهلها ــ حتى ما كان منهن قريب المكان كالفارسية ــ فكان ما فقدنه أكثر وأكثر .

فهكذا تكونت مزايا اللغة العربية وعيوبها ــ بدا بيد .

البدائية والرقى

يقول فقهاء علم اللغة المحدثون من الفرنجة أن اللغات البدائية هى التى تكثر فيها الالفاظ القريبة من بداياتها الصوتية ، على حين أن اللغات الراقية لا يوجد فيها من ذلك الا القليل الاقل . وكثيرا ما نسمع حتى من بعض اللغويين العرب من يستنتج من ذلك أن العربية لغة بدائية من ثمّ .

الفكرة من أساسها مغلوطة ، تعميم . وجدوا هذا فى لغات بدائية وهذا فى لغات راقية ، فقالوا ذاك علة ذلك . وجعلوها قاعدة . المظهر شىء والسبب شىء آخر ، أن كلام رجل ملتج بالانكليزية وكلام رجل حليق اللحية بالفرنسية لا يعنى أن اختلاف حالة اللحية هو سبب اختلاف اللغة . فلنبحث عن سبب معقول لوجود الجذور الصوتية فى اللغات وغيابها ، غير الرقى والبدائية .

اللغات البدائية بقيت بدائية فبقيت الفاظها قريبة من أرساسها الصوتية لان أهلها لم يختلطوا بغيرهم ، لا لانهم لم يرتقوا . أما الشعوب المتحضرة ــ الاوربية مثلا ــ فقد جاءت من مناطق أخرى ولغاتها خليط من لغات شتى .. ابتعدت عن منشئها وأهلها ، وفقدت جذورها الصوتية لا عند ما ارتقى أهلها ولكن منذ كانوا همجا متوحشين ، فى أوربا نفسها ، بل قبل أن يأتوا الى أوربا أيضا .

لقد قلنا توا ان الساميات فقدت الكثير من ارسابها وأثولها لانسلاخها عن المجموعة الاعربية ، مع ان مواطنها بقيت قريبة من الوطن الام .

ولا ادل على فساد نظريتهم من ان اللغة العربية قد جمعت بين الخصلتين ، بَدْوُها تنطبق عليهم القاعدة الاولى (عن البدائيين) وحضرها لا تنطبق عليهم حالة الاوربيين المتحضرين مثلا لان العرب بدوهم وحضرهم لم يغادروا معريتهم ولم يبتعدوا عن موطن آبائهم الاوائل الذين خلقوا لغتهم لانفسهم بأنفسهم . ومن جهة اخرى، كم من لغة ما تزال همجية بدائية فى بعض القارات ، قد فقدت جذورها الصوتية لا يتمادها عن موطنها الاول واختلاطها بلغات بدائية أخرى .

ويمكننا ان نضعها قاعدة عامة فنقول : « ان السبب فى ضياع الجذور الصوتية من اللغات ليس التحضر والترقى ، بل الهجرات والمخالطات » .

ان الذى ذكرنا آنفا من كثرة التطورات اللغوية التى حققتها كل قبيلة على حدة ثم اجتماعها لتبادل ما جد لدى كل منها من الفاظ ومعان تنضاف الى رصيد اللغة المشتركة — لامر يشبه اسرة يخرج افرادها للكسب ثم يعود كل منهم بحصيلة كده ليضيفه الى ثروة الاسرة . حتى بلغت ثروة اللغة ذلك الحد التضخمى المشهور .

وان شكا بعضهم قليلا من تكاثر مفردات المعنى الواحد فان الامر الذى طالما شكوا منه كثيرا هو تعدد المعانى للفظ الواحد . وغريب أن يصدر مثل هذا التشكى عن مثقفين من العرب الذين يتقنون لغة او اكثر من لغات الاقطار الراقية الرائدة فى مجالات العلم والمخترعات . افلم يلاحظوا أن ذلك شأن اللغات الاجنبية ايضا ؟ إفتحوا اي معجم بالانكليزية او الفرنسية، وهما لغتان حديثتان وطفلتان بالقياس الى العربية الناضجة المكتملة القديمة ، تجدوا العجب من فوضى اختلاط المعانى وتبايناتها ، حتى فى المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة .

فهذا عيب التطور اللغوى لا عيب العرب ولا عربيتهم .

المهجور

كثر الهجوم على الحوشي المهجور فى معاجمنا العربية والمطالبة باعدامه وتصفية اللغة من غوائله ، مع انه لم يسبب لنا ضررا ولا هم ذكروا انه ارتكب جناية . ان كانوا لا يريدون ان يستعملوه فمن الذى اجبرهم على ان يستعملوه ؟ وان كانوا لا يريدون منا ان نستعمله فمتى استعملناه ؟ انى لم افهم ماذا يقصدون. بديهى ان المعجم الموجز الطلابى يخلو من الالفاظ المهجورة وحتى القليلة الاستعمال . وفى كل لغة معاجم جيب صغيرة بحجم الكف او اصغر احيانا تقتصر على الالفاظ الاساسية التى يحتاج اليها المتعلم وطنيا او اجنبيا ، ثم يكبر حجم المعاجم فى طبعات مختلفة ، ويكبر حتى يبلغ العدد العديد من المجلدات الضخمة . ولكل من الناس حجمه الذى يناسبه من المعاجم والملابس . فما بالنا لا نرضى ان تكون كذلك الحال فى عربيتنا ؟

ثم كيف نفهم تراثنا الجاهلى ، بل حتى الاموى ، بل حتى العباسى ، اذا نحن صفينا معاجمنا من الالفاظ التى اصبحت اليوم مهجورة وكانت دارجة فى لغة الحديث اليومى عند اسلافنا ؟ ان كل لفظة لغوية كائن حى مهما يكن اليوم مغمورا مهملا . فمن الذى يطالبنا بان نئدها فعل الجاهلية ؟ كل كلمة لها حكايتها . نطق بها ناس من الاجداد وسجلوا بها شيئا من مشاعرهم او نبذة من حياتهم .

انظر الى كلمة (اعتقد يعتقد اعتقادا) . لفظة مهجورة ، نعم . غريبة لا جاذبية فيها ولا رشاقة ولا موسيقا ، نعم . لكن لها تاريخها . فاسمع ماساتها :

« العَقَد (بالفتح) — طائر يشبه الحمام ، او هو الحمام . والاعتقاد ان يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل احدا حتى يموت جوعا . . قال محمد بن انس : كانوا اذا اشتد بهم الجوع وخافوا ان يموتوا اغلقوا عليهم بابا وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعا . قال : ولقى رجل جارية تبكى ، فقال لها : ما لك ؟ قالت : نريد ان نعتقد . . » — اللسان .

افهذه كلمة يحل لاحد وادها لمجرد كونها حوشية مهجورة وهى تحمل مثل هذا التاريخ الفاجع ؟ كيف نعرف مآسى تلك الصحراء ودواهيها وحروبها وغرامياتها . . بدون معونة هذه الكلمة وامثالها ؟

اما اطلاق (العقد) على الحمام فسببه ان من سجية هذا الطائر ان كلا من الذكر والانثى يعتقد اذا ثكل صاحبه — فيضرب عن الطعام والشراب حتى يموت .

فبالاضافة الى ما للكلمة من قيمة تاريخية

بشرانية ، لها قيمتها العصرية العملية نحن ما زلنا بحاجة اليها لكثرة ما يقع فى زماننا من حوادث الاعتقاد، السياسى وغيره .

والاخبار كثيرة فى كتب اللغة عن عادات القوم ووجوه معايشهم مما لا تجده فى كتاب الا حين تقرا شرح معانى بعض الالفاظ التى اصبحت منكرة مجهولة لدينا ، وحتى لدى العباسيين والامويين ، بل حتى لدى الراشديين الذيـن سبقوا فاتخذوا من دراسة الشعر الجاهلى ولا سيما الغريب من الفاظه احدى وسائل تفسير القرآن .

هذا الى ان المهجور والحوشى او الوحشى او الآبد : ضرورى للدراسات اللغوية ، على الاساليب العصرية ولا سيما تاثيلا وترسيسا .

ان المهجور لثروة اى ثروة ، لا تراثية تاريخية نخرية وحسب بل عصرية وعملية ايضا : فهى مادة خامة لسبك المصطلحات الحديثة ــ علاوة على ما تقدم من مناقبها .

معلوم ان الاوربيين اعتادوا ان يستعيروا الفاظا مـن الاغريقية واللاتينية ليصوغوا منها مصطلحاتهم الحديثة لكيلا يخلط المصطلح بالفاظ الاستعمال اليومى من لغتهم ، مثل : telegraph (= tele : من بعيد + graph مكتوب) بدلا من قولهم بالانكليزية (مكتوب من بعيد : written afar)مثلا. وقد كان هذا المصطلح الاغريقى حوشيا وغريبا على الناس اول الامـر ، لكنهم تعلموه ودرجوا عليه .

وفى امكاننا استعمال الفاظنا المهجورة كـذلك لبعض المصطلحات بدلا من الالفاظ الادبية او الكثيرة الاستعمال . كنموذج اذكر (التوتين) استعملتها بدل (التوطين) فى ترجمتى لمعجم (صيانة الطبيعـة .) مقـابـل : (immobilization) التى ورد تعريفها فى المعجم : « تثبيت الحيوانات موقتا فى بقعة لغرض الاقتناص او الرماية او النقل او التدجين ، الخ » *. والتوتين من « وتن بالمكان : ثبت واقام » ــ وهكذا يتخصيص (التوتين) بالمعنى الاصطلاحى المذكـور ويبقى (التوطين) على معناه العام .

وكذلك (الضَّلّ) ــ زنة الملل ــ وهو لغويا : « الماء الذى يكون تحت الصخر لا تصيبه الشمس » استعملنـاه مقـابـل (ground water) بالانكليزية و (nappe fréatique) بالفرنسية ، وتعريفـه الاصطلاحى فى المعجم المذكور : « ماء تجمع تحت سطح التربة فوق اول طبقـة كتيمـة » .

وكذلك (الخَسْل) ــ زنة الفسل ــ الذى معناه اللغوى من « خسلت شيئا : رذلته ونفيته » استعملناه مقـابـل اصطـلاح (littering) بالانكليزيـة و (abandon de detritus)بالفرنسيـة ، الذى لا نجد له فى عربيتنا الرائجة ــ غير المهجـورة ــ كلمـة تؤدى معنـاه .

ولا ضير ان يكون لفظ المصطلح حوشيا غيـر متداول بل الافضل ان يكون كذلك لكيلا يلتبس معناه الاصطلاحى بمعناه العام . والمصطلحات واجبة التعلم على كل حالة ولن يفهمها غير المتخصص ولو كـانت من الالفاظ المانوسة الجارية يوميا على الالسنة . وان شئت برهانا فاذهب الى اى نجار او حداد او صائغ . . وسله عن مصطلحاته واسماء ادواته فستجد انك لن تفهم الكثير منها ولو كنت تعرف معانيها اللغوية العامة.

والعجب كل العجب ممن يتهمون العربية بالقصور فى مضمار المصطلحات . لقد اتى على العربية حين من الدهر كانت فيه اغنى اللغات طرا بالمصطلحات العلمية من طب وفلك ورياضة ولاهـوت وفلسفـة وتصوف ولغة . . وكانت اللغات الاوربية فى عصر نهضتها ، وعلى راسها اللاتينية ، هى التى تشكو عجزها عن مجاراة هذه العربية والترجمة عنها ، فاضطروا الى اقتباس الكثير من المصطلحات العربية كما هى وادخلوها فى لغاتهم مثل اللوغارتم والصفر والجبر والكحول والقلو وحرف (x) الذى كان ينطق شينا باللاتينية ، مقابـل الحرف (ش) العربى الذى اتخذه العلماء العرب رمزا لكلمة (شىء) بمعنى الشىء المجهول .

فلما نام العرب وخيمت عليهم عصور الجهـل والظلام قعدت لغتهم العربية تنتظر قيامهم . وها هم اليوم قد هبوا وها هى قد هبت معهم . وما من لغة عرفها تاريخ الفكر البشرى اقدر من عربيتنا هذه على سبك المصطلحات الدقيقة الموجزة ، لا المادية فقط بل المعنوية ايضا ، من عقلانية ونفسانية ووجدانية .

---

* « اللسان العربى » ــ العدد 12 ــ ج 1 ــ سنة 1975 ، ص 253 .

وبالاضافة الى هذا الكنز الذى لا يفنى من نفائس المفردات مأنوسها ومهجورها،لدينا رصيد عظيم من قابلية للاشتقاق لا مثيل لها فى اللغات ، وكفانا شاهدا تلك الذخيرة الهائلة من اوزان الصيغ العربية تربو على (1300) وزن ، يمكننا ان نصنفها ونستخدمها ونستثمرها فى (تقييس المعانى مع تقييس الاشتقاق)... وناهيك به منجما لاستخراج المصطلحات. وان رمتم شاهدا على فضل العربية من اقوال الاجانب — وهى كثيرة — فاليكم منها شهادة العلامة الفرنسى ارنست رينان — وهو ليس صديقا للساميين عامة ولا محبا للاسلام ، لكن عظمة العربية فرضت عليه مع ذلك ان يقول ، فى منتصف القرن التاسع عشر : « من اغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصَعُب حلّ سرّه انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة اول الامر واذا بها تبدأ فجأة فى غاية الكمال ، عظيمة السلاسة ، مفرطة الغنى ، كاملة الى حد انها لم يطرأ عليها حتى اليوم اى تعديل مهم . فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت من اول امرها تامة مستحكمة . ولم يمض على فتح الاندلس اكثر من خمسين عاما حتى اضطر رجال الكنيسة الى ان يترجموا صلواتهم الى العربية ليفهمها النصارى !

ومن اغرب المدهشات ان تنبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند امة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت اخواتها بوفرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها . . » .

لا نجادله فى ثنائه على العربية فالذى نظنه انها مستحقة له ، لكننا نخالفه فى حقيقتين علميتين : اولاهما ان العربية ان كانت غير معروفة اول الامر كما قال — ويصح هذا بالنسبة الى الاوربيين — فلا يعنى ذلك انها نشأت كاملة وانها لم تكن لها طفولتها البعيدة فى اعماق التاريخ . والثانية ان تلك اللغة التى قال انها فى غاية الكمال لم تكن من صنع البداوة وحدها فى حياتها المترحلة ، بل شاركت فى الجانب الحضارى منها مناطق الحضر المستقر على مدى الاجيال . وحسبها عراقة ويَدَماً أن من بناتها الساميات : البابلية والفرعونية والكنعانية ، فضلا عما تلاها من ارمية ومندائية وآشورية .

الترسيس

قلنا ان من مزايا عربيتنا انها تستطيع ان تبرهن علميا على صحة (علم نشأة اللغة) من محاكاة الاصوات ، وانها قادرة كذلك على ترسيس الالفاظ لنفسها ولغيرها من اللغات المتولدة منها ، حتى الآريات .

فلنضرب للقارىء مثلا . قال ابن الغابة الاعربى : (فرررر) يحاكى صوت رفرفة اجنحة الطائر وتعبيرا عن فراره عند الاقتراب منه . ومن هذا الصوت صيغ فعل (فرّ يفرّ فرارا) . ومنه تولد فعل فَرِق (كفرح) اى خاف ، وفَرَق (كضرب) بين الشيأين ، فصل بينهما . . وفارق ، وتفرّق ، ثم فرث وفرخ وفرد وفرز وفرش .. الخ ،،

ومثالا من ترسيس الالفاظ الاجنبية نذكر كلمة (perka) الاغريقية التى يعدها اللغويون اثل (الفرخ) بالعربية بسبب تطابق معناهما . بينما العكس هو الصحيح ، لاننا نجد فى العربية علة التسمية وهى (انفراخ) البيضة اى إنشقاقها ، عن الفرخ ، شبيها بتسمية (الفرّوج) ايضا لنفس السبب اى (لانفراج) البيضة عنه ، او لانه يفرجها ويخرج منها . ففى الاغريقية لا يمكن تاثيل perka لانها لا اثل لها فيها ، لكن يمكن تأثيلها وترسيسها فى العربية هكذا : perka — فرخة ، فرخ — فرق — فرّ — فرررر . .

ومن فعل (فرّ) نجد فى الانكليزية : fear خاف . . و flight : خوف ، فرار ،، و free حرّر واطلق ،، و fly : طار ، او ذبابة (لانها تطير) . و flea : برغوث (لانه يفرّ) .

وما نكتفى بذكر هذا المثل البسيط ، الا اختصارا.

وهم عند ما يبحثون عن اثول الفاظ لغاتهم يرجعونها الى مشابهات لها بلغات اوربية اخرى قديمة او حديثة ، لكنهم لا يقولون من اين جاءت فدخلت فى تلك اللغات ، فى العربية وحدها يجدون الجواب .

يلاحظ قارئنا الكريم ان هذا الترسيس ليس عرضا لتطور لفظ الكلمة فى عدة مراحل فقط بل لتطور المعنى فى عدة مراحل كذلك . وثمة من النماذج ما هو اطول تسلسلا واكثر تشعبا وتصاعدا فى معارج الارتقاء لا يتسع لها هذا المقام . (وقد تطرقنا فى كتابنا « مغامرات لغوية » وغيره من الدراسات الى ترسيس الكثير من الالفاظ الانكليزية وغيرها ، مثل riviera و

copper و calcium
و sing و table
و Caesar و saxon
.. وردددناها الى أرساسها العربية)

سمفـونيـة الصحـراء

يلاحظ فقهاء اللغة الاوربيون ان اللغات السامية كثيرا ما تعمد الى المجاز . هذا شأن اللغات كافة فى الواقع ، لكن الساميات اكثر جنوحا الى المجاز ، حقا .

ان تشابه وجوه البيداء ورتابة الحياة البدوية جعلت اولئك القوم يلتمسون التنويع والتفنن فى اى شىء لا دور سينما ولا مسرحيات ولا مذياع ولا مشواف ·حرمان من مسرات البيئة وتسلياتها وتنوعاتها ، مع الكثير من عواطف ملتهبة وحب صحراوى محرق وحروب طاحنة لا تكاد تهدا الا لتعود جذعة وخوف من كوارث محتملة لا عداد لها من محل وجوع وغارات مفاجئة وغير مفاجئة من اعداء من البشر أو السباع او الافاعى .. أو الجن ..

تلك النفوس الجياشة اكتشفت تنويعها الذاتى فى عالم (الكلمة) . يتصرفون فى تشقيق صيغها ويتحذقون فى تفتيق معانيها متلذذين فى الافصاح بها عن وجدانات النفس متلهفين الى الاصغاء اليها حين تصور لهم بالتعبير البارع الفنى عن وجدانات الغير .

ولم يكن ابتداع المترادفات الكثيرة للمعنى الواحد ولا المعانى الكثيرة للكلمة الواحدة كافيا لاشباع جوعهم الى التنويع والتفنن ولا سيما ان ذلك قد جاء عفويا وتطوريا تلقائيا . فمن شوقهم الى الخلق والتمتع بلذة الخلق والامعان فى تقوية التعبير — جاء تلمظهم احيانا بالالفاظ علاوة على تلاعبهم بالمعانى عن طريق التشبيه طورا والاستعارة طورا والمجاز والكناية والتلميح والتعريض احيانا .

وكثيرا ما ينقلب التشبيه او المجاز حقيقة . ابسط مثال على ذلك كلمة (الحسام) مثلا . معناه اللغوى هو : القاطع الحاسم ، ولا بد ان اول من اختصر الطريق فلم يشأ ان يقول (السيف الحسام) ، قد اراد الاكتفاء بكلمة (الحسام) ليترك للسامع ان يحزر ما هو الشىء المقصود . وليس الاختصار هو الغرض وانما وجدوا ان ذكر الصفة وحدها واسقاط موصوفها اوقع فى النفس وابلغ فى التعبير . ومن باب الاستمتاع باستعمال الصفة كناية عن الموصوف اتبعوا ذلك فى تسمية الكثير من الاشياء ولا سيما الخطير منها ، من داهية واسد وحية .

فى اللغات الراقية من اوربية وغيرها ايضا يعمدون الى المجاز والاستعارة . لكن من الذى يفعل ذلك منهم ؟ اهل الخيال والبلاغة .. الشعراء والادباء . وانما يدل اكثار العربية منه على ان اهلها شعراء وفنانون ، او على كثرة الشعراء المتفننين فيهم . ومن هنا قيل ان كل عربى شاعر ، ولا بد ان يصدر عنه البيتان او الثلاثة ، ولو مرة فى حياته .

وشدة اهتمام العربى بما يسمع من روائع الكلم منثورا ومنظوما فى ندوات القوم والتهامه اياه باذنيه وقلبه وفرط إلتذاذه به جعل ما يسمع يرسخ فى ذهنه ، فقويت بذلك حافظته فكان يعوّل عليها تعويلنا على اوراقنا ودفاترنا.فلما جاء الاسلام وانتشر التعليم جيلا بعد جيل اخذت الصحف المكتوبة تقوى والذاكرة تضعف تبعا لذلك حتى اخذوا بالتدريج يعتمدون على التدوين الى ان اصبح الاعتماد كله على التدوين ، على العهد العباسى * .

ان تحويل الالفاظ المجازية (الوضعية) الى الفاظ واقعية (عينية) قد كان منجما آخر اغدق علينا فيضا من الثروة اللغوية .

فمن هذا المنجم اغترف ابو عبد الله بن خالويه الهمذانى — الذى قال عنه ابن فارس انه جمع للسيف خمسمئة اسم وللحية مئتين ، كما ذكر الثعالبى ان حمزة الاصبهانى جمع ما يزيد على اربعمئة اسم للداهية .. وكما ذكر الاصمعى انه يحفظ للحجر — كالذى قلنا آنفا — سبعين اسما .. ومثله قول ابى العلاء المعرى انه يحفظ للكلب سبعين اسما كذلك ، فكل تلك الاسماء صفات استعملت مجازا بدل الاسماء ثم صارت اسماءا .

---

* بسبب عدم تنقيط الكتابة لم يكونوا يكتفون بقراءة الكتاب العلمى وحدهم ، مخافة التصحيف ، بل يشترطون على العالم قراءته على مؤلفه او على شيخ ، اى استاذ عالم عن شيخ آخر .. عن المؤلف ، لكيما ينجو القارىء من غوائل التصحيف واخطاء الناسخين . لكن تلك الحافظة الجاهلية الفذة ضعفت على كل حال .

الـداهيـة :

نستعرض بعض اسمائها لنرى طريقتهم فى تسميتها هى التى طالما لوّعتهم ، تجابههم فى صحـرائهم انّـى توجهوا وتأخذ عليهم كل سبيل .

من هذه الاسماء ما يهوّن امرها ، مثل : الملمّة (اى الزائرة ، من قولهم المّ بهم : نزل بهم وأقام) ، والنازلة (تشبه الملمة اى من الزيارة والنزول) .

ومنها ما هو اشد من ذلك مثل : الرُبَيق (بالتصغير من الرِيق اى الحبل تربط به البهيمـة) ، والأُرَيـق (بالتصغير ايضا ، من الارق والغم) .

ومنها ما هو اشد من هذا ايضا كالمصيبة (التى تصيب كالسهم مثلا) ، والنائبة (التى تعضهم بنابها) ، والجائحة (المهلكة) .. والفاجعـة .. والرزيّـة .. والفاقرة (التى تكسر فقار ظهرهم) ، وتلمظوا باسمها هذا كانما تدليلا فنطقوه كذلك : الفَيْقَر (كالفيلق) .

وسموها الصِمّ (كالصل) وهو مستعار من اسماء السيف (الذى يقطع الصميـم وهـو الفضروف بين الفقرتين) . ولا ادل على نزعتهم فى اللعب بالالفـاظ وتنويعها امعانا فى الافصاح وتشديد وقعه فى النفس ، نفس المتكلم والسامع ، من تمطّقهم باسمها هذا ــ وغيره كما سنرى ــ مذ نطقوه كذلك : الصَمّاء وصَمّام (بالبناء على الكسر كقطام) .

وبعض اسماء الداهية يراد بها التهويل وارهاب السامع بخشونة لفظها وقوة جرسه بالاضافة الى معناها ــ كانما ليخيفوا انفسهم ــ على عكس ما تفعله السباع اذ تخيف اعداءها بالزئير والزمجرة بالاضافة الى فتك المخلب والناب . من ذلك : العَنْقَفِير والخَنْفَقِيق ! ويبدو أن هذه الخنفقيق انحدرت من الخنق طفقوا يتلاعبون بنقطه حتى تخنفق . واما العنقفير فاثلها (العَنَـاق) ــ بالفتح ــ وهو احد اسماء الداهية ايضا ، ثم سموها (العنقاء) ــ وهى غير الطائر الوهمى المشهور ــ ثم (العَنْقَز) ــ بالزاى المنقوطة ، زنة الجندل . ولم يشف غليلهم كل ذلك الى أن جاء يوم فنطقوها العنقفير ، واستراحوا .

واحيانا يعمدون الى السخرية كقولهم كناية عـن الوقوع فى داهية : « وقعوا فى قرنى حمار ، أو فى است كلب » أو فى غير ذلكم .

وقد يكون اسمها بعيدا عن التدليل والاستهانة والسخرية ليفصح عن حقيقة شعورهم تجاهها ، مثل : الكريهة .

ولو نحن جمعنا اسماءها فى وزن وقافية لالفنا من سمفونية الصحراء ما يمكن تسميته (نشيد الهول) .

فيما يلى مثال من تلكم الاسماء المرعبة ، ممـا ذكرنا آنفا وما لم نذكر :

حاطمـةٌ جائحـة ضـرّاءُ
ملمّـةٌ نازلـة صمّـاءُ
صِمٌّ صَمَامِ نِكبـةٌ وبلـوَى
وبلـوةٌ بَليّـة بـلاءُ
داهيـةٌ فاقـرةٌ وفَيْقَـرُ
مصيبـة نائبـة بـاسـاءُ
قد وقعوا فى دردبيس باقعـه
وفى است كلبٍ وأُرَيْقٍ فاجعـة
وقمطريرٍ عَنْقَفِيـرٍ واقعـة
وخَنْفَقِيـقٍ أمّ هولٍ قارعـهُ !

السيـف :

معظم اسمائه من معنى القطع ، مثل الصارم والجُرَاز والقرضاب والمطبّق (كالمؤذّن : الذى يصيب طبَقَ العظم) والبتّار ،، ثم السيف (من السائف اى القاطع ايضا ، مثل صياغة الطيف من الطائف والغيب من الغائب والغيث من الغائث والليث من اللائث) ، اى أن (السيف) ايضا صفة وليس اسما جامدا كما توهم اللغويون منذ القدم .

« قيل ان ابن خالويه زعم انه يحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم ابو على الفارسى وقال : ما احفظ له الا اسما واحدا وهو السيف ! قال ابن خالويه : فايـن المهنّد والصارم وكذا وكذا ! قـال ابـو على : هـذه صفـات » .

لكن بحثنا التاثيلى اظهر لنا أن (السيف) ايضا من الصفات ، كالذى اشرنا اليه * .

بالاضافة الى معنى القطع وردت للسيف اسماء هى مجرد نعت موضوعى لا يهتدف مدحا ولا ذما ، مثل

* تفصيل ذلك ورد فى حديثنا « دخيل ام اثيل » ــ اللسان العربى ، العدد 12 ــ 1975 ، ج 1 ــ ص 18.

الصفيحة والمأثور (فى متنه اثر) والمشطّب (فى نصله شطوب اى خطوط) والدائر (الذى طال عهده بالصقل) .

وقد يكون الوصف الواقعى غير موضوعى ، ليدل على انه ابلغ فى القطع ، مثل المفتّر (كالمظفر : الذى فى حده فقرات ، ومنه ذو الفقار سيف الامام على المشهور) والمشمل (كالمنبر : السيف القصير يُشتمل عليه بالثياب) .

ومن اسمائه ما ينبىء بمكان صنعه ، كالمشرقّ (نسبة الى مكان فى مشارف الشام) واليمانى والهندى او الهندوانى . وليست هذه التسميات المكانية بالمحايدة هى الاخرى لان المراد بها جودة الصنع .

ومن اسمائه ايضا ما يحمل معنى التغزل والمباهاة برونقه مثل : الابيض والصقيل والإبريق (البرّاق) والقشيب (الحديث الجلاء) والرقراق (الكثير الماء) والعقيقة (وهى اصلا : البرقة تستطيل فى عرض السحاب ، ومن ثم قالوا « سلّوا عقائق كالعقائق » اى سلّوا سيوفا تلمع كالبروق) .

ومن فرط حبهم له وعرفانهم بجميله وحسن بلائه فى نصرتهم سموه : الخليل ! وشبيه بذلك الرِداء (من الرِدْء — كالعبء — وهو : العون والناصر ، او من الرَدْي — كالسعي — اى : الصَدْم) .

أما من باب التّلطف باسمه فقد سموه الهَذّاذ والهَذْهاذ والهُذاهِذ (بالضم) .. والخَذِم (كالفطن) ، والخَذُوم (كالرسول) والمِخذَم (كالمنبر) والمُخَذَّم (كالمصدّق) .

ويمكن جمع بعض اسماء السيف فى ابيات من قبيل :

ولى صارم ماضي الصفيحة مِهذَمُ
هَذومٌ هُذام مِخذَم ومخذَّم
يمانٍ جراز باتر النصل قُرضُوبُ
رداءٌ قشيبٌ ذو الكريهة مشطوبُ
قضيب قُضاب مِقضبٌ وخليلُ
وصِمٌّ وصَمصَام يهذٌّ صقيلُ

الاسد :

وما ادراك ما الاسد ، كان شيئا مخونا فى تلك الايام ، لم يكن لديهم رشاشات ولا بنادق ليصيدوه من بعيد . هو الذى يصيدهم من قريب . وسهامهم لا تصيبه من مسافة مأمونة ، وان اصابته لم تصب منه مقتلا الا فى النادر ، لهذا لم يكن يجرؤ على مهاجمته ولا على مدافعة هجومه الا رامح او سيّاف .. وقليل ذلك البطل .

لذلك خصّوه ببعض اسماء الداهية والسيف — علاوة على اسمائه الرهيبة — مثل الصّمّ (كالسر) والصمصام (كالثرثار ، وكلاهما من اسماء السيف) والصِمّة (كالهمّة من اسماء الداهية والسيف) . وتلمظا باسمه اضافوا الصِمْصِم (كالسمسم) .

طبيعى اذن انهم عدوه بلاءا اذا اعتاد قطع الطريق على المسافرين او اقتحام المضارب والخيام ليلا على المقيمين . ومن ذلك قول المتنبى فى وصفه : نزلَتْ على الاردنّ منه (بليّة) . واحسبهم قد سموه فى قديم زمانهم (بَلْوَى) وهى كالبلية من اسماء الداهية . دليلي على ذلك ان (belua) تطلق باللاتينية على الحيوان الضخم من اسد وفيل وحوت . ولا نستغرب اطلاق اسم الاسد على اكثر من حيوان هنا فان ذلك شائع فى العربية ، ونذكر من اسماء الاسد بالذات : الصِمّة : الاسد والذكر من الحيات وانثى القنفذ — كما قلنا قبل — والسِيد (كالعيد) : الاسد والذئب .. والليث : الاسد وضرب من العناكب !

من اسمائه ايضا ما هو مستوحى من لونه ، منها : الورد (من لون «الارض» بدليل انها تسمى بالالمانية erd) (*) ، والعِفر (كالعطر) والعِفرّ (كالسجل) من العَفَر (كالقمر) اى التراب .

ومن اسمائه ما هو وصف لخلقته مثل : ابى لُبَد والملبد (كالمحسن ، من لبدته اى الشعر المحيط برقبته وصدره) ، ثم العِقرن (كالهزبر ، من عُقرته اى لبدة رقبته) ، والخطّار (المتبختر) ، واللائث (من لاث شيئا : لاكه فى فمه ، لانه يلوك اللحم كما نراه يفعل فى الحير *) ومن هذه صيغ الليث .

(*) فصّلنا ذلك فى بحث «الروض والعروس والعراق» — كتابنا «تاريخهم من لغتهم» .
* الحير — زنة الطير — حديقة الحيوانات .

وكم اسماء له من معنى الكسر . منها قبل كل شيء ، الكاسر ، ثم الفُضافر (بالضم ، من غضغت عودا : كسرته) ومنها الغضفر ايضا .. ثم العَرَنْدَس (كالسفرجل ، من عردسه : صرعه) .

وبعض الاسماء من معنى القطع مثل الهزبر (من هزبرت شيئا : قطعته) والقرضاب (من قرضبته : قطعته ، وهو من اسماء السيف) ..

وأُسامة (من سام على القوم : اغار عليهم نعاث نيهم) ..

ومن اسمائه المتنوعة : الصيّاد والصاد ، ثم الربيال (ويخالها اللغويون تخفيفا من الرئبال ، بالهمز لكننا نرى العكس لان الكلمة مشتقة من الرَبْل والرَبْل اى التصيد ، ثم همزت) .. والضيغم (العَضّاض) ، والضرغام (الغضوب ، من ضَرِم — كفرح — وتضرّم عليه : احتدم غضبا ، وضرِم فى الطعام : جدّ فى اكله لا يدفع شيئا منه) ، والسِيد (كالعيد ، من السيادة ، تخفيفا من السيّد — بالتشديد — كما تنطق الكلمة بالاسبانية بنفس المعنى : alcid).

ويبلغ تلذذهم بتنويع الصيغ حد الاغراق فى نعت هذا الحيوان فى مثل الصِم والصمّة والصِمصِم (وكلها بالكسر) والصُماصم (بالضم) والصَمصَام (بالفتح) وهى مستعارة من اسماء السيف . ثم تبلغ النشوة فى التمطّق والتنويع اقصاها فى : العِفْر (كالعطر) والعِفِرّ (كالسجل) والعفريت والعفريـن والعِفَرْن (كالهزبر) والعَفَرْنَى (كالعَرَضْنَى ، بسكون الضاد وفتح الباقيات) والعِفِرناة (بكسرتين) والعِفْرية (كالإطرية وهى من اسماء الداهية) والعِفرس والعِفريس والعِفراس (وكلها بالكسر) والعُفروس (كالعصفور) والعَفَرْنس (كالسفرجل) والعَفَرْنة .. فهذه أربع عشرة لفظة من مادة واحدة هى (العفر) فهل يعنى هذا شيئا غير قوة حاسة الطرب والتلحين فى القوم ؟

والكثير من اسماء الاسد ادل على الاعجاب والتقدير منها على الكراهية والذعر .

وان شئنا وضع بعض اسماء هذا البهيم البطاش فى وزن ينتظمها لتاخذ مكانها فى سمفونية الصحراء عرضنا بعضها هكذا مثلا :

هو الكاسر الخطّار والرابض الرادي
ابو لبد المعروف بالصِمّة الصاد
هو الاسد الرئبال سيدُ عَرَنْدَسُ
عِفَرْنٌ وعفرين عَفَرْنَى عَفَرْنَسُ !
وعِفْرٌ عِفَرٌ عِفرسٌ وعفرفره
وعفرية العفريت ليث وقسوره
اسامة وَردٌ ان تَربَّد حيدرُ
وان صال قرضاب هزبرٌ غضنفرُ
وإن نام ريّاض وإن قام ضيغم
صُماصِمُ صَمْصَام وصِمٌّ وصِمْصِمُ !..

ما كان العرب بطبيعة الحال يسردون اسماء الداهية والاسد والسيف على هذا المنوال ، وانما كانوا يستعملون كلا منها فى عبارة تحكى موقفا متازما او تروى خبرا مروّعا ، فيكون للكلام رهبته ووقعه المشحون بالطاقة الشعورية المؤثرة .. يختارون لكل حالة أحد هذه الاسماء الكثيرة المعبرة ، اما مجرد سردها على هذه الوتيرة فلا يؤدى الا المقدار الضئيل من الغرض الذى نريد اليه .

على ان اختلاف المعاجم وكتب اللغة فى تعريف هذه الاسماء وفى استعمالاتها ينبىء أن الاسماء والصيغ قد كانت اكثر بكثير مما أحصاه الرواة ، ما دام باب الاستعارة مفتوحا ، على مصراعيه امام الجميع . لقد كان فى وسعهم وما زال فى وسعنا — ان نستعير من كل نعتٍ إسماً لاى شيء ، فاذا صادف استحسانا شاع وفرض نفسه على الاذواق .

ولو جمعنا كل تلك الاسماء مع اسماء الحية والجمل والحصان والغزالة وحتى الكبش والتيس .. ثم العسل والخمر والحب والبغض والخوف والغضب والحرب .. ووضعنا كلا منها فى عبارة مناسبة متفجرة .. لألّفنا (سمفونية الصحراء) ..

وهل الشعر الجاهلى ، بجملته ، غير ذلك ؟

ندوة التاريخ العلمي للعرب بمعهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب

بمناسبة افتتاح **معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب** انعقدت ندوة عالمية لتاريخ العلوم عند العرب في الفترة الواقعة بين 5 و 12 نيسان (ابريل) 1976 .

اهداف الندوة :

وكان الهدف الاساسي من انعقادها هو التعريف بالعبقرية العربية وامكانياتها الخلاقة المبدعة ، من اجل بعث الثقة في النفوس وحفزها الى مزيد من الارادة والتصميم لبناء المجتمع العربي المتقدم علميا وتقنيا (تكنولوجيا) .

وقد سلطت الاضواء على منجزات العرب في الميادين التالية :

1 ـ تاريخ **العلوم الاساسية** ، ويشمل : الرياضيات ـ الكيمياء ـ الفيزياء ـ الفلك ـ الارضانيات (الجيولوجية) ـ النبات ـ الحيوان .

2 ـ تاريخ **الطب** ، ويشمل : علم الادوية ـ البيطرة .

3 ـ تاريخ **التقنية** (التكنولوجية) ، ويشمل : الهندسة الآلية (الميكانيكية) ـ الهندسة المائية (الهيدروليكية) ـ الهندسة المعمارية ـ الهندسة المدنية ـ الهندسة الحربية ـ الصناعات الكيميائية .

كما نوقشت موضوعات اخرى تتعلق **بالفلسفة والاقتصاد** .

الدول المشاركة :

اشترك في الندوة (65) باحثا من العرب والاجانب توافدوا من الجامعات والمعاهد ومراكز الابحاث المهتمة بتاريخ العلوم عند العرب ، التابعة للدول التالية :

الولايات المتحدة الامريكية ـ المانيا الاتحادية ـ انكلترا ـ فرنسا ـ الاتحاد السوفييتي ـ بولونيا ـ النرويج ـ الدانمرك ـ الهند ـ ايران ـ الباكستان ـ السعودية ـ الكويت ـ مصر ـ السودان ـ العراق ـ الاردن ـ لبنان ـ سورية .

الابحاث المقدمة :

في الفترة الواقعة بين 5 و 9 نيسان (ابريل) تمت مناقشة الابحاث المقدمة الى الندوة خلال (11) جلسة علمية ، نوقش فيها (67) بحثا ، منها : 36 بحثا باللغة العربية و 31 بحثا باللغات الاجنبية .

وكانت الابحاث موزعة على الموضوعات كما يلي :

2 بحثان في تاريخ العلوم بوجه عام .

36 بحثا في تاريخ العلوم الاساسية .

9 ابحاث فى تاريخ العلوم الهندسية والتقنية (التكنولوجية) ، والزراعة .

18 بحثا فى تاريخ العلوم الطبية .

2 بحثان فى تاريخ العلوم الاجتماعية .

النشاطات الاخرى :

رافق انعقاد الندوة تنظيم عدد من المعارض تنسجم واهداف الندوة اقيمت فى قاعات معهد التراث العربى . وهذه المعارض هى :

- معرض المخطوطات العلمية العربية .
- معرض الادوات العلمية العربية .
- معرض الفلكى العربى ابن الشاطر .
- معرض المصنوعات العربية .
- معرض لوحات فنية تمثل اشهر العلماء العرب.
- معرض منشورات معهد التراث العلمى العربى وجامعة حلب .

وقد اثارت هذه المعارض اهتماما كبيرا لدى العلماء المشاركين لانها استطاعت ان تبرز نشاطات العلماء العرب ودورهم فى تطوير العلوم المختلفة .

توصيات الندوة :

اتخذ العلماء والمشاركون التوصيات الهامة التالية :

1 ــ ان يتبع معهد التراث العلمى العربى سياسة عقد مثل هذه الندوة العالمية الاولى ، كل ثلاث سنوات ، من اجل تنسيق وتوحيد جهود الباحثين فى تاريخ العلوم عند العرب فى مختلف انحاء العالم .

2 ــ القيام بعقد حلقات بحث متخصصة بين حين وآخر فى موضوعات معينة من تاريخ العلوم .

3 ــ اصدار مجلة ابحاث متخصصة بتاريخ العلوم عند العرب وتشرف على تحريرها لجنة من كبار المختصين وتنشر الابحاث فيها باللغة العربية واللغات الاجنبية العالمية .

4 ــ اصدار نشرة اعلامية دورية للتعريف بنشاط المعهد وبنشاطات المعاهد الاخرى فى العالم المهتمة بالتراث العلمى العربى والاسلامى وبالمنشورات التى تصدر عن هذه المعاهد مع اعداد دليل بأسماء وعناوين كافة المشتغلين بالبحث فى هذا الميدان فى انحاء العالم .

5 ــ اتباع المعهد لسياسة استقدام الاساتذة الباحثين المعروفين بابحاثهم فى تاريخ العلوم عند العرب كاساتذة زائرين لمدد قصيرة لالقاء المحاضرات وتوجيه الابحاث بالمعهد .

6 ــ العمل على جمع وتحقيق وترجمة ونشر المحاضرات العلمية العربية وتوزيعها . واتباع اسلوب التصوير بالاوفست فى بعض الحالات التى يحسن فيها اتباع هذه الطريقة كالجداول والمخطوطات المصورة .

7 ــ يقترح اعداد كتاب من مجلد واحد او اكثر تعده نخبة من الباحثين المتخصصين فى تاريخ العلوم الرياضية والطبيعية والتكنولوجية فى الحضارة العربية الاسلامية ليكون بمثابة مرجع عالمى فى هذه الموضوعات وينشر باللغة العربية واللغات الاجنبية .

8 ــ القيام بتاليف كتاب فى مجلد او اكثر يكون مرجعا عالميا فى تاريخ الطب العربى الاسلامى وما يتعلق به من علوم الحياة ، ويساهم فى اعداده نخبة من الباحثين المختصين من جميع انحاء العالم كل فى فرع تخصصه . وينشر باللغة العربية واللغات الاجنبية .

9 ــ انشاء معاهد او اقسام او كراسى لتاريخ العلوم فى كل جامعة عربية وتدريس تاريخ العلوم وخاصة التراث العلمى العربى لطلاب الكليات العلمية والانسانية .

10 ــ الاهتمام فى المرحلة الثانوية بادخال موضوعات تاريخ العلوم عند العرب من مواد تاريخ الحضارة العربية والاسلامية باعتبار ان العلم كان من مقومات هذه الحضارة .

اهمية الندوة :

لا شك ان انعكاسات الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب ستكون على جانب كبير من الاهمية .

فلان الندوة عالمية فان ردود الفعل التى سوف تخلفها لن تقتصر على القطر العربى السورى بل ستمتد الى كافة انحاء العالم . فالباحثون والعلماء الذين توافدوا الى القطر من مختلف بقاع الارض يحملون للندوة بحوثا اصيلة امضوا فترات طويلة فى

التعمق بدراستها سيعودون بعد انتهاء الندوة يحملون انطباعات ايجابية جدا عن القطر وعن القفزة الفكرية والاقتصادية الكبيرة التى يعيشها .

ولان الندوة تبحث فى تاريخ العلوم عند العرب فانها تلعب دورا هاما فى عملية تحويل زمام البحث فى هذا التاريخ ــ الذى كان يتم الى حد كبير من قبل الباحثين الغربيين ــ الى العرب انفسهم . فالشروط الضرورية للقيام بهذه البحوث ــ ومن أهمها اجادة اللغة العربية اجادة تامة ــ لا تتوفر فى عدد كبير من الباحثين الغربيين مما يضطر اغلبهم ــ من أجل اجراء بحوثهم ــ الى مراجعة مراجع اجنبية أو مترجمة قد لا تنقل الامور بشكل علمى موضوعى ، هذا اضافة الى انه ظهر جيل من العلماء الغربيين يحاول ، وبشكل متعمد ، طمس فضل العرب وتشويه دورهم فى الحضارة الانسانية ، وقد بدأ هذا الانحراف واضحا بعد قيام اسرائيل وتصاعد الصراع بين الامة العربية والصهيونية العالمية.

ونتيجة لكل هذا فان المناقشة الموضوعية لنظريات وافكار ومخترعات ابن الشاطر وتقى الدين بن معروف وابن خلدون وعبد اللطيف البغدادى والكندى وصالح السلوم والفارابى وغيرهم من العلماء العرب ، قد ابرزت الدور الكبير الذى لعبه العلماء العرب فى تطوير مختلف العلوم واثبتت أن الامة العربية امة عريقة اعطت الكثير للحضارات الاخرى .

الابحاث المقدمة للندوة

العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب

ا ــ الابحاث العامة :

1 ــ سيزكين ، فؤاد : جامعة فرانكفورت ــ المانيا الاتحادية « مكانة العرب فى تاريخ العلوم »

2 ــ صبرة ، عبد الحميد : جامعة هارفارد ــ الولايات المتحدة الامريكية « دراسة تاريخ العلوم عند العرب » .

ب ــ تاريخ العلوم الاساسية :

1 ــ احمد ، مختار الدين : جامعة عليكرة ــ الهند « أبو يوسف الكندى ورسالته فى الشعاعات »

2 ــ انصارى ، رضا الله : جامعة عليكرة ــ الهند « ابحاث ابى الريحانى البيرونى فى الطبيعيات » * (بالانكليزية) .

3 ــ جاويش خليل : المركز القومى للبحوث العلمية ــ فرنسا « مؤلفات نصير الدين الطوسى عن نظرية المتوازيات (بالانكليزية) .

4 ــ جحا ، فريد : الجمهورية العربية السورية « الفارابى العالم » .

5 ــ حريز ، سيد : جامعة الخرطوم ــ السودان « صلة الرواية الشفهية بتاريخ العلوم (بالانكليزية) .

6 ــ الخالدى ، صلاح الدين : الجمهورية العربية السورية « ابن الشاطر الرياضى الفلكى » .

7 ــ خان ، م . س : جامعة كالكوتا ــ الهند « تقييم العلوم على ضوء مؤلف عربى اسبانى من القرن الحادى عشر » (بالانكليزية) .

8 ــ الدفاع ، على عبد الله : جامعة البترول والمعادن ــ العربية السعودية « نظرية فيثاغورث الجديدة لثابت بن قرة »

9 ــ الدوينى ، عطا الله : جامعة القاهرة ــ مصر « البيئة والاتجاهات الفكرية فى البلاد العربية ».

10 ــ الراشد ، رشدى : جامعة باريس ــ فرنسا « تطور الجبر ونظرية الكسور العشرية »*

11 ــ الراوى ، منعم مفلح : جامعة الكويت ــ الكويت « الموجز فى تاريخ الجيولوجيا عند العرب » .

12 ــ زيمرمان ، ف . ف : المعهد الشرقى الالمانى فى بيروت ــ لبنان « دستور المنجمين » (بالانجليزية) .

13 ــ سترولين ، جون : جامعة البترول والمعادن ــ العربية السعودية « دراسة مساهمة العرب فى نظرية الاعداد » (بالانكليزية) .

14 ــ سعيد ، محمد : مؤسسة هامدارد القومية ــ باكستان « جابر بن حيان » (بالانكليزية) .

15 ــ سعيدان ، احمد سعيد : الجامعة الاردنية ــ الاردن « نظرية العدد وجمع السلاسل فى نصين عربيين » (بالانكليزية) .

---

* القى البحث فى الندوة ولم تسلم نسخة منه بعد .

16 — **سنكرى ، محمد نذير** : جامعة حلب — الجمهورية العربية السورية « مبادىء التراث العربى فى الهيئة النباتية الصحراوية وتقسيم النباتات الرعوية»

17 — **الشطى ، أحمد شوكت** : الجمهورية العربية السورية « أصل أنواع الحيوان عند مسكوية 966 — 1030 م (بالفرنسية) .

« حول علم النبات عند العرب وعالمية الشفرة والصورى » .

« مساهمة فى دراسة ثلاثة علماء نبات عرب معروفين » (بالفرنسية) .

18 — **شوقى ، جلال** : جامعة القاهرة — مصر « دراسات البيرونى فى الطبيعيات » .

19 — **صليبا ، جورج** : جامعة هارفارد — الولايات المتحدة الامريكية « التقنيات الحسابية فى الجداول الفلكية من العصر الوسيط المتأخر (بالانكليزية)

20 — **طه ، محجوب عبيد** : جامعة الخرطوم — السودان « ملاحظات حول رسالة ابن الهيثم من أضواء الكواكب » .

21 — **عبد الرحمن ، حكمت نجيب** : جامعة الموصل — العراق « الكيمياء عند العرب ورائدها الاول جابر بن حيان » .

22 — **غليولين ، عبد الحق** : جامعة لومومبا — الاتحاد السوفييتى « من الزيج الى المسائل المعاكسة فى الديناميك » (بالانكليزية) .

23 — **الفضلى ، ابراهيم جواد ، الورد ، محمد أمين** : جامعة السلمانية العراق « الاصول العربية لعلم الاراضه » .

24 — **كرو ، ابراهيم** : الجامعة الاردنية — الاردن « الكندى وتأثيره فى المنطق الرياضى » (بالانكليزية) .

25 — **كنيدى ، ا . س** : الجامعة الامريكية فى بيروت — لبنان « تفسير نظام البيرونى المتعلق بتقدير الابعاد بالطريق غير المباشر » (بالانكليزية) .

26 — **كونتش ، بول** : جامعة ميونيخ — المانيا الاتحادية « النقد العربى لنصوص افريقية قديمة : ابن الصلاح المجسطى » بالانكليزية .

27 — **كينج ، ديفيد** : معهد الابحاث الامريكى فى القاهرة — مصر « علم الفلك فى سورية خلال القرن الرابع عشر » (ملخص بالانكليزية) .

28 — **ليمى ، ريتشارد** : جامعة نيويورك — الولايات المتحدة الامريكية « اصل وانتشار كتاب الثمرة لابى جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم » .

« فى العالم الاسلامى من القرن العاشر وحتى القرن السابع عشر » (بالانكليزية) .

29 — **مردوك ، جون** : جامعة هارفارد — الولايات المتحدة الامريكية « النقل والتشكيل مظهر من المآثر التى قدمها العرب والمسلمون » .

30 — **النابلى ، نادر** : جامعة دمشق — الجمهورية العربية السورية « استخراج الضلع الاول لمضلع مفروض للكاشى » *

31 — **ناجى ، عبد الجبار** : جامعة البصرة — العراق « رؤية تراثية الى علم الحيوان عند الجاحظ ».

32 — **الهاشمى ، يحيى** : الجمهورية العربية السورية « يعقوب بن اسحاق الكندى فيلسوف العرب والعالم الطبيعى » .

33 — **هرميلينك ، — هـ** : ميونيخ — المانيا الاتحادية « رياضيات التسلية عند العرب كمرآة لالاف السنوات من العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب» (بالالمانية) .

34 — **الهليس ، يوسف** : الجامعة الاردنية — الاردن « علم الصوتيات عند العرب فى ضوء علم اللغة الحديث » .

ج — تاريخ العلوم الهندسية والتكنولوجية والزراعية :

1 — **بهنسى ، عفيف** : الجمهورية العربية السورية « صناعة السيوف الدمشقية » .

2 — **بياسكوفسكى ، هـ . جيرسى** : جامعة كراكوف — بولونيا « الصلب الدمشقى أروع المنجزات فى علم التعدين » (بالانكليزية) .

* القى هذا البحث فى الندوة ولم تسلم نسخة منه بعد.

3 ــ **الحسن ، احمد يوسف** : جامعة حلب ــ الجمهورية العربية السورية « تقى الدين والهندسة الميكانيكية العربية » *

4 ــ **حمارنه ، صالح** : الجامعة الاردنية ــ الاردن « زراعة قصب السكر وصناعته عند العرب المسلمين » .

5 ــ **رزق ، عبد المنعم احمد** : جامعة عين شمس ــ مصر « تاريخ العلوم الهندسية والصناعات عند قدماء المصريين والعرب » .

6 ــ **زكى ، عبد الرحمن** : جامعة القاهرة ــ مصر « تأثيرات فن العمارة الاسلامية على الابنية العربية » (بالانكليزية) .

7 ــ **سبنسر ، وليام** : جامعة فلوريدا ــ الولايات المتحدة الامريكية « المنجزات الاسلامية فى تخطيط المدن من الوجهة التاريخية » (بالانكليزية) .

8 ــ **فهد ، توفيق** : جامعة ستراسبورغ ــ فرنسا « الفلاحة النبطية وعلم الزراعة العربية » (بالفرنسية) .

9 ــ **هيل ، دونالد** : لندن ــ انكلترا « التكنولوجيا العربية فى العصر الوسيط » (بالانكليزية) .

د ــ تاريخ الطب :

1 ــ **اسكندر ، البرت زكى** : معهد ويلكوم لتاريخ الطب ــ انكلترا « محاولة تحديد مناهج مدرسة الاسكندرية الطبية » (بالانكليزية) **

2 ــ **اولمان ، مانفريد** : جامعة توبنجن ــ المانيا الاتحادية « الرواية العربية لاعمال روفس الاوفسيس »

3 ــ **البابا ، محمد زهير** : جامعة دمشق الجمهورية العربية السورية « الاقرباذينات أو دساتير الادوية العربية » .

4 ــ **الجاسر ، طه** : جامعة حلب ــ الجمهورية العربية السورية « التخدير والانعاش فى تاريخ الطب عند العرب » .

5 ــ **حمارنه ، سامى** : معهد سمسونيان ــ الولايات المتحدة الامريكية « ابن العين الزربى وتعريفه للامراض وتشخيصها » (بالانكليزية) .

6 ــ **حمارنه ، نشات** : جامعة دمشق ــ الجمهورية العربية السورية « عملية قدح الساد فى الريف السورى المعاصر » .

7 ــ **دولس ، مايكل** : جامعة فلوريدا ــ الولايات المتحدة الامريكية « تكرار الطاعون فى الشرق الاوسط بعد الموت الاسود » (بالانكليزية) .

8 ــ **ديبوس ، آلن** : جامعة شيكاغو ــ الولايات المتحدة الامريكية « التراث العربى فى الكيمياء الطبية قبل الثورة العلمية » (ملخص بالانكليزية) .

9 ــ **ديجن ، رينالد** : جامعة جيسن ــ المانيا الاتحادية « كتاب الاغذية لحنين ابن اسحق » (بالانكليزية) .

10 ــ **شحادة ، عبد الكريم** : جامعة حلب ــ الجمهورية العربية السورية « اضواء على الطبيب العربى والعالم الموسوعى عبد اللطيف البغدادى » .

11 ــ **عرقتنجى ، روبير** : الجمهورية العربية السورية « الكى والدق والتشريط » .

12 ــ **قطاية ، سلمان** : جامعة حلب ــ الجمهورية العربية السورية « الطبيب صالح افندى ابن نصر الله السلوم الحلبى واهميته التاريخية » .

13 ــ **الكرمى ، غادة** : معهد ويلكم لتاريخ الطب ــ انكلترا « الطب العربى فى القرن العاشر ، دراسة كتاب غنى ومنى لابى منصور » (بالانكليزية) .

14 ــ **كلاجهر ، نانسى** : اكسفورد ــ انكلترا « رسالة فى الهيضة » .

15 ــ **كيالى ، طه اسحق** : جامعة حلب ــ الجمهورية العربية السورية « ارجوزة الشيخ الرئيس ابن سينا فى الطب » .

16 ــ **محقق ، مهدى** : جامعة طهران ــ ايران « كتاب الرازى عن الطين النيشابورى » .

17 ــ **موسى ، جلال محمد** : جامعة اسيوط ــ

---

* صدر هذا البحث ككتاب ضمن منشورات معهد التراث العلمى العربى .

** القى البحث ولم تسلم نسخة منه بعد .

مصر « الادوية المفردة ومعرفة قواها عند حنين بن اسحق وابن سينا » .

18 ــ **النيسيمى ، ناظم** : الجمهورية العربية السورية « ابداع الرسول العربى فى فن الصحة والطب الوقائى » .

هـ ــ تاريخ العلوم الاجتماعية :

1 ــ **دليلة ، عارف** : جامعة حلب ــ الجمهورية العربية السورية « مكانة الافكار الاقتصادية لابن خلدون فى الاقتصادية السياسى » .

2 ــ **هول . آ . ن** : « نظريات ابن سينا فى علم النفس » * (بالانكليزية) .

* القى البحث ولم تسلم نسخة منه بعد .